**السنة الثالثة /أدب**

**قضايا النص الشعري القديم**

**أ د فريدة مولى**

**المحاضرة الخامسة: قضية التقليد والتجديد في الشعر العباسي**

**إن قضية التقليد والتجديد ليست حكرا على الآداب وسائر الفنون، بل هي مرتبطة بجميع مجالات الحياة، كما أنها مطروحة في كل بيئة وعصر، ذلك أن التطور والتجدد هو سنة الحياة، ولكن كل جديد مصيره التقادم وهكذا تتصل الحلقات وتستمر الحياة.والتجديد يرتبط أساسا بمسألة التأثير والتأثر والتفاعل والمحاكاة بين الأمم والحضارات، فالشعوب التي تنفتح أمامها أفاق الثقافة وقنوات الاتصال تصبح أكثر قدرة على الابتكار والتطور والتجديد وهو حال المجتمع العباسي الذي انفتح على شتى ثقافات البلدان المفتوحة، لذلك اعتبر العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية تطورا وتجديدا في شتى مناحي الحياة، إذ بلغ ذروة عطائه فلسفيا وعلميا وأدبيا، وقد كان كل التباين في المواقف السياسية والتطور المتنامي في الذوق والفكر والتحولات الكبرى التي غيرت المجتمع أساس الصراع بين المقلدين والمجددين، وبرز هذا الصراع جليا في الأدب(الشعر والنثر) شكلا ومضمونا.**

**مظاهر التجديد في الشعر العباسي:**

**ظهرت في العصر العباسي أغراض شعرية جديدة إلى جانب الأغراض المعروفة التي تلونت بألوان العصر الذي عرف تطورا في شتى المجالات، وقد تطور الشعر وعرف تجديدا نظرا لعدة عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية ومن أهمها:**

**-النفوذ الكبير للفرس داخل الدولة ،فاستفاد الشعر من ثقافة الفرس وميراثهم الحضاري والأدبي والفكري**

**-استغلال الخلفاء العباسيين للشعر لتأكيد شرعية حكمهم والرد على خصومهم،فتنافس الشعراء في مدحهم وتعظيمهم.**

**-نتج عن الحياة الاجتماعية المتحضرة ذوق جديد، إذ مال الناس إلى حياة النعيم والابتعاد عن البداوة، فاحتاجوا بذلك إلى لون جديد من الشعر يعكس هذا الذوق الجديد**

**-كان لعاملي الحركة النقدية وتنافس الشعراء أثرا كبيرا في تطور الشعر،فتنافس الشعراء في التجديد وابتكار المعاني والصور،وهذا ما أثر إيجابيا على الحركة الشعرية**

**-كثرة الأندية الأدبية والثقافية في هذا العصر والتي كان يرتادها الشعراء والأدباء وكانت تقام في قصور الخلفاء والأمراء وكذلك في الأماكن العامة.**

**أ -التجديد في الموضوعات الشعرية:**

**من الأغراض الشعرية القديمة التي مسّها بعض التطور:-**

**1-المدح أو المديح: تجاوز شعراء المدح في هذا العصر الصفات التقليدية التي كان يتقلدها الممدوحون إلى صفات أخرى كالذكاء والفطنة وعمق الرؤية، كما تغنى الشعراء بمنجزات الخلفاء وبطولاتهم وأبرز تلك المدائح التي اشتهر بها "المتنبي" في شأن الخليفة "سيف الدولة الحمداني" كقوله:**

**لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى**

**وأن يكذب الأرجاف عنه بضده ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا**

**2-الرثاء:رثا الشعراء الخلفاء والوزراء والقادة ، وتفجعوا على أبنائهم وأصدقائهم وإخوتهم وزوجاتهم، وكانت مراثيهم تفيض حزنا وألما ، وقد اصطبغ الرثاء في هذا العصر بالدعوة إلى التأمل في الحياة واستخلاص العبر فامتزج بالمواعظ والحكم والفلسفة على نحو ما نجد عند "أبي العلاء المعري" في رثاء صديقه "أبي حمزة"**

**غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنّم شاد**

**وشبيه صوت النعيّ إذا قيس بصوت البشير في كل ناد**

**أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد**

**3-الهجاء:بالغ الشعراء في عصر بني العباس في الهجاء المقذع والساخر والتعرض لعورات الناس متجاوزين كل المعايير الأخلاقية والضوابط الاجتماعية،اشتهر فيه "بشار بن برد" و"إبان اللاحقي" وابن الرومي الذي اشتهر بالهجاء الساخر.يقول ابن الرومي في وصف بخيل:**

**يقتّر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد**

**فلو كان يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد**

**4-الفخر:ظل نشيطا في هذا العصر ،اشتهر فيه "المتنبي" و"أبو تمام"، ويندرج شعر الفخر الشخصي ضمن شعر الحماسة أو الشعر الحماسي الذي يتغنى بالقيم الأصيلة وقيم الشجاعة والفروسية في الحروب. وقد عرف المتنبي بقصائده الحماسية في الافتخار بنفسه وفي مدح سيف الدولة، إلى جانب أبي تمام الذي تغنى ببطولات الخليفة المعتصم في فتح عمورية.**

**5-الغزل: استمر هذا الفن في هذا العصر وسار بعضهم على نحو المشهورين ممن سبقوهم كمجنون ليلى أو عمر بن أبي ربيعة، وسلك آخرون مسلكا جديدا فيه كثير من ملامح العصر وروحه، وكان أكثره شيوعا الغزل المادي الماجن الذي وجد بيئة خصبة بانتشار الجواري والقيان (القينة هي الأمة أو الجارية المغنية) اللواتي أصبحن أدوات للإغراء والمجون، وقد لعبن دورا في تفشيه بين الشعراء الذين تحرروا من كل خلق وعرف ودين، يقول ابن إياس الكناني أحد الشعراء العباسين داعيا إلى الغزل الماجن والشراب:**

**اخلع عذارك في الهوى واشرب معتّقة الدنان**

**وصل القبيح مجاهرا فالعيش في وصل القيان**

**لا يلهنيك غير ما تهوى فإن العمر فان**

**إلى جانب انتشار الغلمان (مفرده غلام وهو الفتى) في مجالس اللهو والمجون، وكان للخمر حضورا فعالا في هذه المجالس،اشتهر في هذا اللون الشعري بشار ابن البرد وأبو نواس والبحتري وابن الرومي وأبو فراس الحمداني.**

**6-الوصف:نال حظا وافرا في العصر العباسي،صور فيه الشعراء كل جوانب الحياة العباسية بأبعادها المادية والروحية ومظاهرها الحضارية،ومن أبرز الموضوعات التي شغف بها الشعراء في هذا العصر وصف القصور والحدائق والرياض والسفن والزهور بشتى ألوانها وأنواعها و وصف البرك، وتعتبر قصيدة "البحتري" في وصف إيوان كسرى نموذجا دقيقا في الوصف في هذا العصر.**

**ب-الأغراض التي تطورت واستقلت بذاتها :**

**-شعر الخمرة أو الخمريات:حيث بالغ الشعراء في وصف الخمرة وذكر مجالسها ووصف كل ما يتعلق بها من أكواب وكؤوس وندماء وغلمان،اشتهر أبو نواس بالخمريات إلى جانب بشار بن برد.**

**-شعر الصيد أو الطرديات:وهو غرض يهتم بالصيد وما آل إليه،وقد أولى الخلفاء والأمراء للصيد أهمية بالغة فتفنن الشعراء في وصف مظاهر الصيد.**

**-شعر الزهد او الزهديات: شاع غرض الزهد كرد فعل على انتشار المجون واللهو،فعبر من خلاله الشعراء على رفض متاع الدنيا ولذاتها والإقبال على الآخرة، وتطور الزهد فأصبح تصوفا وهو مذهب روحي أساسه ترك زخرف الدنيا والتقرب من الله وعبادته ليس خوفا من جهنم ولا طمعا في الجنة بل حبا فيه ورغبة في التقرب منه ونيل رضاه دون مقابل.وكانت جماعة الفقهاء والنسّاك الزهاد تدعو إلى الزهد ورفض متاع الدنيا الفانية والإقبال على الآخرة، اشتهر في هذا الغرض "أبو العتاهية" و"الحسن البصري" وتطور فيما بعد على يد المتصوفة الذين برعوا في الشعر الصوفي الذي هو شعر الترفع عن الماديات نحو الروحانيات والتأمل في الذات الإلهية وكمالاتها،أهم من حملوا لواء الشعر الصوفي رابعة العدوية وأبي منصور الحلاج والبسطامي والجنيد وذي النون المصري وغيرهم.**

**ج- الأغراض الجديدة أو المستحدثة :**

**وهي الأغراض التي تميز بها هذا العصر دون غيره من العصور السابقة فنجد:**

**-التغزل بالغلمان(التغزل بالمذكر)، وهو نوع من الغزل ظهر نتيجة انتشار المجون والغلمان (مفرده غلام وهو الفتى) في البيئة العباسية، واتخاذهم خدما في المنازل والقصور، وكانوا يجلبون من بلاد فارس والروم وسائر الأجناس الأخرى، يتغزل الشاعر بالمذكر دون المرأة . ولا يكاد الغزل بالمذكر في أشعار العباسيين يختلف كثيرا عن التغزل بالمرأة، فقد نقلوا إلى الغلمان كل ما توصف به المرأة من نعومة وجمال وأخلاق وغير ذلك، يقول أبو نواس في وصف غلام:**

**لبق القد لذيذ المعتنق يشبه البدر إذا البدر اتسق**

**مثقل الردف إذا ولّى وحكى موثقا في القيد يمشي في زلق**

**-رثاء المدن والحيوانات: وهو من الأغراض الجديدة في هذا العصر، ولعله خير دليل على سمة التمدن التي طبعت الفرد العباسي ومظهر من مظاهر الارتباط بالمدينة والحيوان، حيث انتقل الرثاء من رثاء الأشخاص إلى رثاء المدن خاصة التي تعرضت للخراب والتدمير مثل مدينة بغداد عاصمة الدولة العباسية التي دمرت ونكّل بأهلها أثناء الحرب بين الأخويين الأمين والمأمون ابني الخليفة هارون الرشيد ، حيث تبادلت الجيوش المنجنيق، يقول في ذلك عمرو بن عبد الملك العتري الوراق:**

**يا رماة المنجنيق كلكم غير شفيق**

**ما تبالون صديقا كان أو غير صديق**

**ويلكم تدرون ما تر مون مرار الطريق**

**ويقول في مرثية أخرى:**

**من ذا الذي أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زمانا قرة العين**

**ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم وكان قربهم زينا من الزين**

**وكذلك رثى بعض الشعراء حيواناتهم التي كانت قريبة جدا إلى أنفسهم، حيث رثى الشعراء الحيوانات الأليفة مثل القطط والكلاب، ويكشف هذا اللون من الرثاء عن حس حضاري ومعنى إنساني يتولد من العاطفة التي تربط بين الإنسان والحيوان ،مثل ما نجد في رثاء أبي نواس لكلبه بعد أن لسعته حية فمات، يقول :**

**يا بؤس كلبي سيد الكلاب قد كان أغناني من العقاب**

**وكان قد أجزى من القصاب وعن شراء الجلب الجلاب**

**فبينما نحن في الغاب إذ برزت كالحة الأنياب**

**-الشعر التعليمي: ويقصد به ذلك اللون الشعري الذي ينظم في العلوم المختلفة، لجأ إليه بعض الشعراء لتبسيطها وإخراجها في نظم يسهّل حفظه، وكان ذلك نتيجة الثقافة الواسعة وانتشار العلوم المختلفة في هذا العصر.من ذلك ما عمد إليه "إبان عبد الحميد اللاحقي "في نظم كتاب كليلة ودمنة شعرا في 5 ألاف بيت.وظهرت الكثير من المنظومات في الطب والفقه والنحو والبلاغة والتاريخ وغيرها.**

**د-التجديد في شكل القصيدة العباسية:**

**تطورت القصيدة العباسية في الشكل والمضمون، فإلى جانب الأغراض الشعرية التي طوّرها الشعراء واستحداثهم أغراض جديدة طوروا أيضا في شكل القصيدة ، وإن لم يكن على نطاق واسع، إلا أن بعض ملامح التغيير ومحاولات الخروج عن المألوف تعدّ ضربا من التجديد في شكل القصيدة في هذا العصر.**

**أ-أشكال القصيدة العباسية: لم تلتزم القصيدة العربية في العصر العباسي نمطا واحد في تشكّلها، بل تمّ بناؤها ضمن أشكال متنوعة منها:**

**\*القصيدة المركبة أو القصيدة التقليدية: وتسمى أيضا القصيدة المحكمة البناء، ونعني بها القصيدة الكلاسيكية أو النموذج التقليدي الذي يقوم على المقدمة والعرض والخاتمة، وهذه القصيدة متطورة مقارنة بالقصيدة القديمة على جميع مستوياتها الفنية والدلالية، فمن حيث المقدمات أغنى الشعراء قصائدهم بتجارب شعرية جديدة لا عهد لها للقصيدة العربية القديمة فاستبدلوا المقدمات الطللية بمقدمات خمرية على غرار ما فعل أبي نواس، وتجاوزوا الرحلة البرية ووصف الناقة إلى الرحلة البحرية ووصف السفن والبحر كما أضفوا على الممدوح قيما جديدة تتناسب وروح العصر.(سبق وان أشرنا إلى الجديد في غرض المدح) وراج هذا الشكل الكلاسيكي في قصائد المدح والفخر خاصة ولا يكاد ديوان من دواوين الشعراء المعروفين كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي نواس وابن المعتز ومروان بن أبي حفصة يخلو من قصيدة مركبة محكمة البناء، حيث سار الشعراء على سنة الشعراء الجاهليين يصطنعونها وهم يقفون بين يدي الممدوح، وإذا خلت قصيدة محكمة البناء من مقدمة في وصف الطلل أو النسيب ومن ذكر الرحلة ومتاعبها ثم سرد صفات الممدوح عدّت خروجا عن العرف.**

**\*القصيدة البسيطة أو غير المركبة: وهي ما كانت دون مقدمة ولا خاتمة، وتكون مستقلة الموضوع ودون تمهيد له، وقد تكون طويلة وقد تكون قصيرة، وهذا الشكل كان استجابة للموضوعات الجديدة ممّا سهّل انتشارها وتطورها، إذ أقبل الشعراء عليها وعالجوا مختلف الأغراض الشعرية الجديدة من زهد وشعر مجون وخمريات ومن أعلامها: بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية و مسلم بن الوليد وغيرهم.**

**\*المقطوعة الشعرية: هي ما يتراوح عدد أبياتها بين البيتين والعشرة، وهي غالبا لا تتسع لأكثر من غرض واحد، يعبر فيه الشاعر عن موقف معين أملته مناسبة معينة، أو شعور حاد أحس به في لحظة من اللحظات، وقد استطاعت المقطوعات الشعرية أن تعبر عن تجارب الشعراء الجديدة من مجون وزهد وغزل ورثاء..**

**\*النتفة: وهي ما كانت بيتين أو ثلاثة، وتشترك مع المقطوعة في بواعث نظمها، ونجد هذا النمط في دواوين كل من بشار بن برد، العباس بن الأحنف،وأبي نواس الذي يقول في إحدى نتفه:**

**ما زلت أستل روح الدّن في لطف\*\*\* واستقي دمّه من جوف مجروح**

**حتى انثنيت ولي روحان في جسد\*\*\* والدّن منطرح جسما بلا روح**

**\*البيت المفرد أو اليتيم: وهو ما كان بيتا واحدا، ووجوده ادر في دواوين الشعراء العباسيين.**

**\*المزدوج: وهو نمط شعري يقوم أساسا على التصريع، بمعنى أن قافية الشطر الأول هي نفسها قافية الشطر الثاني، ويوفر هذا النمط للشاعر قدرا من التحرر من ضغوط القافية الواحدة، حيث يمكن تغييرها في كل بيت جديد مع الحفاظ على التصريع، وقد استغله الشعراء العباسيون في الشعر التعليمي، في نظم بعض المسائل العلمية قصد تعليم الناشئة بواسطتها، وأهم من نظم في المزدوج أبو العتاهية وأبو نواس وإبان عبد الحميد اللاحقي الذي نظم كتاب كليلة ودمنة، يقول فيه:**

**هذا كتاب أدب ومحنة\*\*\* وهو الذي يدعى كليلة ودمنه**

**فيه دلالات وفيه رشد\*\*\* وهو كتاب وضعته الهند**

**فوصفوا آداب كل عالم\*\*\* حكاية على ألسن البهائم**

**ه- التجديد على مستوى اللفظ والمعنى:**

**من القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من ناحية الألفاظ والأساليب:**

**-الدقة في اتقاء الألفاظ السهلة الرشيقة الممثلة للمعنى أتم تمثيل والمتسقة مع الوزن والموسيقى .**

**-استعمال العبارات الأكثر تداولا بين عامة الناس**

**-نقل بعض الألفاظ الأعجمية على حالها دون تعريب**

**-التصرف في بعض الكلمات العربية تصرفا أخرجها من معانيها القديمة إلى معان لم تكن معروفة وهذا نجده خاصة في الشعر الصوفي**

**-استخدام الكثير من ألفاظ العلوم والفلسفة والفنون والصناعات ومصطلحاتها**

**-الإكثار في الصور البديعية**

**-استخدام ألفاظ السخف والبذاءة وعبارات الخلع والمجون**

**و-التجديد على مستوى المعاني والأخيلة:**

**-الإكثار من ضرب الأمثال مع حسن التعليل**

**-استخدام الأدلة المنطقية والآراء الفلسفية**

**-الاستنباط الدقيق والجديد للمعاني كان ينسب العشق للأذن كما نجد في نونية بشار بن برد بقوله: يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة\*\*والأذن تعشق قبل العين أحيانا**

**قالوا بمن ترى تهذي فقلت لهم \*\*الأذن كالعين توفي القلب ما كانا**

**وكتبيان فضل الحاسد على المحسود مثل ما نجد في دالية أبي تمام:**

**وإذا أراد الله نشر فضيلة \*\* طويت أتاح لها لسان حسود**

**لولا اشتعال النار فيما جاورت\*\*ما كان يعرف طيب عرف العود**

**-المبالغة والتهويل خاصة في المدح لغرض التكسب**

**ي-التجديد على مستوى الأوزان والقوافي: حقق الشاعر العباسي قدرا كبيرا من التطور بموسيقى شعره، فأضاف إلى الاستعمالات السابقة استعمالات أخرى، ونظم على بحر جديد اكتشفه الأخفش وأضافه إلى بحور الخليل وهو بحر المتدارك، كما عمد الشاعر العباسي إلى البحور المهجورة فأحياها وأصبحت قوالب موسيقية مألوفة تتسع لكثير من التجارب الفنية كالمضارع والمقتضب، ويعزى هذا التطور إلى انتشار الغناء في الحجاز وترتب عن ذلك أن يكون القالب الموسيقي بالغ الرقة ليسهل تذوقه.**